(٢٦)

وحدة الحياة ووحدة الإنسان بحيوات الكسب والجزاء في أيام الله

حديث الجمعة

٣ شعبان ١٣٨٠ هـ - ٢٠ يناير ١٩٦١ م

إني أطمع في الله أن أبدأ باسم الله. إني أطمع في الله أن أبدأ بحمد الله. إني أطمع في الله أن أستغفر الله. إني أطمع في الله أن أشهد أن لا إله إلا الله. إني أطمع في رسول الله أن أشهد أن محمدا رسول الله.

خلْقَ الله، أمرَ الله، عبادَ الله.

اتقوا الله، وجددوا إيمانكم بالله مع أنفاسكم، مع أزمانكم، مع صوركم، مع معانيكم، مع دناكم، مع أخرياتكم.

اتقوا الله، وجددوا إيمانكم بالله كلما تواجدتم، وكلما عن التواجد بعدتم.

اتقوا الله، وآمنوا بالله، ما وحَّدتم الله، وما عدَّدتم صفات الله، وما أحَّدتم وجود الله، وما صَمَّدتم ذات الله، وما أظهرتم وجه الله، وما غيبتم معاني الله.

إن الله يعرف في سر تقواه لمرتضاه.. فتعرضوا لنفحات الله، في أيام الله بمحبته وبتقواه، تحصلوا من الله على رضاه، فتحيوا برضائكم عن الله.

إن الذي نحياه من الله في أيامه بنهارنا وبليلنا، وإن تجَددَ من قديمنا معناه وقام من قديمه عين أمره ومواصلته ومبتداه، فإنا نشهد فيه ما قد نسميه جديدا وما يجوز لنا أن نسميه جديدا لأن ما سبق أن عرفنا قد تباعد عنا، ولأن مثاله بنا قدم علينا، فقمناه جديدا عين قديمه، فكنا بمعنانا لمبنانا عين القديم والجديد.

لقد كان في العهود القديمة قبل محمد وبعثته في جديده بقديمه نبوءات عن عصره وعن شخصه، حققها مجيئه وعصره، وعز على أهله عنها فيه تصديقه وهو لم يخرج بدوره في رسالته عن سنن الله مع من قبله يحملون النبأ عنه.. فكان لابد أن تتضمن رسالته نبوءات عما بعده وعمن بعده. سجلها كتابه بالقرآن وأبرزها حديثه بالتفصيل والبيان، وحملها الأثر بالأمانة والتاريخ بالعيان.

ها نحن في أزمانها، وها قد صدقت النبوءة من القرآن في أوانها. وها قد وقع فعلا أمر التفصيل والبيان. ها هي السماء تدخل في نجوى مع أهل الأرض عن ابن السماء والأرض، عن الحقيقة، عن الإنسانية، عن البشرية، عن الآدمية، عن الكلمات، عن الآيات، عن الناس في رسالة السلام من عوالم السلام.

ها هو أمر رب الناس ليس خافيا وهو يصلهم بروح منه. ها هو ملك الناس بارز ظاهر من وراء حجابه بوسطائه بين الناس من الروح والناس. ها هو إله الناس يتجلى بالناس للناس من الناس. ها هو قيوم الله على الناس أقرب إليهم من حبل الوريد. ها هو لطيفه يلحق القلوب، فتبصر البصائر والأبصار، تبصر ما عجزت عن إبصاره ببصرها، وهي ما قامت في إبصاره إلا ببصره بصيرة لها.. {أبصر به وأسمع}[1].

ها هي الأسماع تأخذ طريقها إلى السماع بلحاق لطيفه لتسمع ما كانت لا تستطيع أن تسمع.

ها هي آيات الله تترى في النفوس وفي الآفاق وظن القدرة عليها يقوم في قدرة.

ها هو رب محمد.. ها هو رب الناس.. ها هو رب الأجناس.. ها هو الروح العظيم من الروح الأعظم يخاطب الناس، ويبرز آياته للناس حتى يعرف الناس أنه الحق من ربهم.

ها هو إنسان الله.. ها هو عبد الله.. ها هو عبد الله الحي في حياة الحي القيوم ينادي طالبي الحياة أن هلموا إلى الحياة اقتطفوها، واحتفظوها، وعنكم لا تقطعوها.. إن الله معكم أينما كنتم فاغنموه معيتكم.

ها هو نداء الله يُسمع للناس عاليا بعد قنوط من صمم، لا من انقطاع، ولا من غياب عن نظر أو سماع.

ها هو رسول الله كما ظهر للأبدان بالأبدان ببدن وبأبدان يظهر للأرواح بروح وبأرواح يخاطب الأرواح، وبشبح وبأشباح يخاطب الأشباح متوجها لأرواحها في أشباحها من شبح منها تشهده الأشباح شبحا، وتشهده الأرواح روحا، وتعرفه الأبدان بدنا، وتدركه القلوب قلبا، وتراه الذوات الفانية ذاتا فانية، وتحسه الأرواح الباقية روحا باقية، يكلم الناس من بيت على مثال من بيوت ذواتهم قبلة لهم، وصوتا لله ينادي في برية الله في صحراء الحياة. ينادي من انشقت عنه الأرض حيا

يواصل الحياة. ينادي من استقبل ماء الحياة من السماء فاهتزت بالحياة ذاته وترنمت بجمال الله صفاته.

إن ما بث فيهما من دابة يجمعهما، وهو على جمعهما القدير، يوم يشاء، وقد شاء أن يظهر جمعهما وقد كاد يخفيه. فتح الأسوار بين العالمين، بين من يدب على الأرض ومن يدب في السماء فتساقطت الأسوار، وأصبح قائما بين العالمين سفور الجوار فقام فعل الجار للجار، ووجب حق الجوار. تعاون أهل الوعي من دواب السموات مع أهل الوعي من دواب الأرض ليقدم كلاهما ما عنده من تجربة ومن معرفة فتعارفا وتوادا، واستنصر أهل الوعي من أهل الأرض أهل الوعي من أهل السموات على أمرهم في الأرض لخير أهلها فأمدوهم بقدرة من أهل السموات من سكان الكواكب، وأصول الحياة من عوالم الروح، ومن سكان الأرض من عوالمها غير المنظورة. أمدوهم بنفوسهم جندا لله وأرواحا لهم لمعاونتهم على رد أهل الباطل وأهل الظلام من سكان الأرض عن غيهم، وعما خلقوا بأنفسهم لأنفسهم من أنفسهم من خصومة طاحنة، وتنافر وتنابز بينهم، وتفاخر بالطاقات على ضآلتها، والأموال على تفاهتها، معتزين بما يسمونه العلم الذي انتهى بهم إلى تطاحن مميت، وإلى عراك قاتل، وظلام خانق، في بعد عن المعرفة وعن حكمة المعرفة.

فها هي جنود السماء جنود للسلام تساند وتناصر دعوة السلام وجنود السلام من أهل الأرض، رجاء أن تخف عنها وطأة الخصام، وتزول منها حدة الانفصام إلى ما كان في الله وفي طلب الله، وفي تنافر في الله، وفي تزاحم على الله، وهو ما لا وجود له اليوم في معركتها، حتى إذا ما انقشعت السحب الملبدة بظلام الخصام حلت محلها سحب منيرة، مشرقة بجمال السلام فأشرق على الأرض فجر الأمان، وانقشع عنها ظلام ليلها من الفرقة والخصام، ودخلت في يوم من أيام الله يبدأ بشروق شمس الله دليلا وعلما عليه، يد فعله وطريق ناموسه، تأتي من المشرق على عادتها، وتغرب في المغرب كمألوف سنتها.. يبدأ نهارها ثم يبدأ ليلها ثم تأتي من المشرق بجديد يوم في طريقها إلى المغرب لجديد ليل، دواليك في دأب لا بدء له، وفي دوام لا انقطاع له. وهذه هي أيام الله.

وها أنتم في هذا الزمان توشكون على انقشاع ليل طال لاستقبال شمس بدء ليوم نرجو أن يطول. إنكم السعداء أهل هذا العصر إذ يكون منكم بناة جديد البيت ومنكم لبناته.. بيت يشاد على جديد من قديم شُيد بكم، وبكم يرفع قديمه، وبكم يوضع جديده، وبكم يبدأ أساسه، ومنكم ترتفع جدرانه، وبتمام نعمته عليكم يعرش سقفه، وتبسط أرضه، وتُظل سماؤه، ويتدفق ماؤه.

أنتم السعداء إن أسعدتم أنفسكم بالله يدانيكم أمره ويكشف أمركم لكم سره. وأنتم المبتلون إن تشككتم في أمر الله في جهل أمركم على ما رجع إليه الآباء رجوعا لجاهليتهم. وأنتم الوارثون

للصالحين إن أيقنتم واستيقنتم أن ظهور الله في ظهور الإنسان، وأن بطون الله في بطون الإنسان، وأن تعالي الله في تعالي طبقات الإنسان، وأن تداني الله في بعث طبقات الإنسان وهذه هي عقيدة التوحيد في دين الإسلام.

إذا علمتم أن الله كما بدأ أول خلق يعيده، وهو معيده كما أعاده، وأنه من نطفة خلقكم، ومن نطفة خلق آباءكم وأجدادكم وأجدادهم، ومن نطفة خلق أبناءكم وأبناء أبنائكم، فأدركتم وصدقتم أنه من نطفة يبعثكم، ومن نطفة يعيدكم، ومن نطفة يدخلكم النار، ومن نطفة يدخلكم الجنان، وصدقتم أن هذا الذي أنتم فيه من أمركم مما تجهلون فيه عن أنفسكم، لا علم لكم عن الله إلا ما علمتم عن أنفسكم فيه، ولا رباط لكم بالله إلا ما ارتبطتم بقديم مرتبط من أصولكم فيه أو بجديد لكم يرتبط به فيه، ولا بقاء لكم في الله إلا ما بقيتم مع فروع لكم فيه.. بلا بدء لكم فيه - لأنه لا بدء له - وبلا انتهاء لكم فيه - لأنه لا انتهاء له - وأنه لا معرفة لكم عنه إلا ما عرفتم عن أنفسكم بمعيتكم منه أينما كنتم سواء في الأرض ولجتم أو في السماء عرجتم، أو إلى الأرض رددتم، لا معرفة إلا ما عرفتم أنه معكم، وإذا معيته لقيتم فعلى ربكم جُمعتم، وعبادا له كنتم، ووجوها له أشرقتم، فذكر الله أنتم.

إن الأنبياء ما علَّموا وما قاموا إلا بهذه التعاليم. وما أخذوها إلا من أصولهم من الإنسان من روح الحكماء قاموا بها في أنفسهم مبعوثين في أشباح أبنائهم بهذه التعاليم ثمرة تجاربهم في حقيقة الوجود بإذن الله، فكانوا بحقائقهم إنسانية الله، وكان الأنبياء وهم أبناؤهم كلمات الله حملوا النبأ من الآباء والأجداد إلى الأبناء والأحفاد، وواصل الأنبياء حمل الأنباء إلى أبنائهم وأبنائهم.. وما الحكماء والأنبياء ومن تحدث إلى الأنبياء من آبائهم من الحكماء، ومن تحدث إليهم الأنبياء والحكماء في كل عصر وفي كل موطن إلا إنسانية واحدة، لا بداية لها ولا نهاية لها، ولا انقطاع لها، ولا جديد عليها. جديدها قديمها وقديمها جديدها.. حقا واحدا أزليا يتجدد ما تجددت البشرية من تراب الأرض، ويتصاعد ما فاضت الرحمة من اللانهائي الأحد، ويَرتد مَا قامت إرادته بنداء، وعدله بجزاء، وحكمه بابتلاء، ورحمته بعفو ورضاء إلى مصدر النداء من الأرض أو من السماء.

إن إنسانية الأرض أو بشريتها على ظلمها لنفسها مهما ظلمت نفسها كان نصيبها من عفوه عنها على قدر ظلمها، وكان قسطها من رحمته على قدر غفلتها، وكان قسطها من النور على قدر ظلمتها، وكان قسطها من اليقظة على قدر حيرتها، وكذلك كان على قدر ضعفها معه قسطها من القدرة به. كما كان على قدر بعدها عنه قسطها من القرب منه. إنها البشرية محل الإنذار والبشرى فيها الإنسانية الممقوتة عند عوالم الإنسان، وفيها الإنسانية المغبوطة والمحسودة عند عوالم الإنسان. إنها الإنسانية الجامعة لصور المعارف وصور الجهل والإنكار.

إن من استيقظ منا من ظلام نفسه وظلمها، ومن جحود ربه ومباعدته وهو معه، ومن غفلة عقله ومجانبته له وهو وجهه، تتفتح له أحضان الله عبدا له كان آبقا فعاد، وأحضان الحقيقة الإنسانية ابنا لها، كان شاردا تائها فرجع لبيته.. إنكم إن شئتم كنتم يتامى الله آواهم الله ما قطعتم روابط الصلة بتراب الأرض ووثقتم أواشج الروابط بمعارج السماء، ما قطعتم علاقتكم بالدنيا وبالآخرة.. فلا الآخرة لكم أب ولا الدنيا لكم أم، ولا الوجود المادي لكم أصل. فإن رأى حيرتنا وقد قام يُتمنا آوانا إنسانه إليه، آوانا من آواه الله، آوانا من آوته إنسانية الله من قبل، يتيما فآوى، ضالا فهدى، عائلا فأغنى.. آوانا الغني الذي أغنى.. آوانا المتصل الذي حيا وبقي واتصل فآوى.. آوانا العالم الذي فارق الجهل وقام في العلم.. آوانا اليتيم الموصول لليتامى موصولين والذي أمر أن لا يقهر، وأمر أن لا ينهر يتامى مطلوبين، فهو اليتيم المثالي بنعمة ربه تحدث إلى أهل بيته من موصوليه، ويتامى دناهم وأخراهم إلى مأوى وصلته، أمر أن يتحدثهم بما عرف عن نعمة الله، وعن عظمة الله، وعن مداناة الله في بشرية الناس رسولا من أنفسهم، وعن تعالي الله في تعالي الناس عن طبائع الناس.

هذا هو دين محمد. وها نحن نشهده لا كلاما أو قولا ولكن قياما وعملا، وهذا ما سبق أن وعدنا به في نبوءة القرآن عن أمر البيان في عهده إلينا في قوله علينا بيانه، وعلينا جمعه وقرآنه.

إن رسالة الروح اليوم استكملت قرنا من الزمان، وسارت شوطا في الذي يليه، وإنها ستواصل وتواصل أراد الناس أو لم يريدوا. وهي بالغة أمرها رضيها الناس أو قاوموها، ولكنهم إن تلاقوا معها في منتصف الطريق أدركوها نعْم الحق، ونِعْمَ الصديق فعجلوا لأنفسهم أمرها، وعجلوا لها عليهم نصرها، وكان انتصارها عليهم انتصارهم على ظلامهم، وكان فيه لهم وطأة الحق. {إن بطش ربك لشديد، إنه هو يبدئ ويعيد}[٢]، وإن وطأته لا تكون إلا على الباطل، لا تكون إلا على الظلام، فيذهب الظلام، ويزهق الباطل، ويقوم الحق ويعرف الله. أما وطأة الحق على أهل الحق فهي وطأة الحبيب على الحبيب شدتها جمال ونهايتها كمال.

إن نحن تلاقينا بعملنا واجتهادنا ومجاهدتنا، وما أقام الله فينا وما قام بنا من الحق، دانتنا حقائق الله فتلاقينا وكان في هذا سعادتنا، ورحمتنا، وقيامتنا، وساعتنا، وحسابنا، وجزاؤنا، ومرجعنا، وحقنا.. وكيف يكون ذلك؟ وكيف يتيسر لنا شيء منه والأرض والناس على ما نرى من صراع وقتال وخصام؟ وإن تحقق لأفراد منا فكيف ينتفع به جمعنا، أو يقوم عليه اجتماعنا؟

إن رسالة السماء اليوم تحاول وترجو.. ترجو الله من فوقها وتوجه الناس من تحتها أن يعاونوها، وأن يتعاونوا معها على إنهاض للسلام على الأرض بين الناس، حتى إذا قام السلام بين الناس أمكن أن تقوم رسالة للسلام بين الناس وبين معيتهم من الله.

إن الناس قد غاب عنهم أنهم مخاصمو الله بغفلتهم عنه في أنفسهم فيما يقومون فيه من خصام مع بعضهم البعض، أنساهم خصومتهم لله في أنفسهم.. فإذا ما قام السلام بينهم، ظهر لهم الخصام فيهم لما هو معهم من الله. والسلام مع الله يبدأ بمجرد إدراك الخصام معه عند مخاصمه.. فمن ذا الذي يخاصم الله على إدراك لفعله؟ إن المدرك لأنه في خصام مع الله هو في سلام مع الله. فقد وحد الله لأنه ربط نفسه مع الله، بربطها مع عقله ومع معناه، وربط عقله ومعناه مع الله، ما أدرك أن نفسه فيه إنما هي في قيام مخاصم لمعاني الحق فيه فراودها على أن تسجد للحق فيه وتسالم الله معه لتكون عبدا لله تراه وتسمعه.

هذه هي الرسالة التي تمهدون لها، والتي تقومون فيها، والتي تعملون بها لتكونوا من المسلمين.. وإن لكم منكم في هذه الدنيا وفي هذه الحياة ذوات حية، وأزواج منكم مرعية، وأبناء لكم أنتم عليهم في معاني الربوبية، فهلا حرصتم على هذا كله ودفعتم عنه البلاء فكنتم جنودا للسلام ولأنصار السلام ولعباد السلام من عالم السلام، فكنتم جنودا للرسالة الروحية، وكنتم عبادا لرب الروح ورب الملائكة والروح ورب الناس ورب كل شيء ورب الوجود الظاهر في كل شيء والظاهر في كل موجود، مع عباد له بهم يظهر لخلقه من الناس، وبهم يقوم، وبهم يعمل وينتشر بنوره؟

لا تأخذوا هذه الألفاظ كلاما جميلا له رنين، وللنفوس إليه حنين، ولكن خذوها كلاما قيما قيوما، له في وجودكم وجود، وله عندكم إن آمنتم شهود. إن الذي هو أقرب إليكم من حبل الوريد، إن الذي هو معكم أينما كنتم، إنما هو معناكم، إنما هو إنسانكم، إنما هو وجودكم، إنما هو قديمكم، إنما هو قائمكم، إنما هو جديدكم بعد قليل، إنه معاني الإنسان فيكم. فهلا عملتم لتتصلوه؟ لتكونوه فتكونوا الإنسان؟ فتقومون بمعنى الإنسان؟

هذا ما أراده الإسلام بفطرته، ورسول الإسلام ببعثته، ومؤسس الإسلام بحقيقته، وقرآن الإسلام بشرعته، وقارئ القرآن في الإسلام بسنته، والمتحدث بالقرآن في الإسلام باستقامته، والقائم بالقرآن في الإسلام بإمامته...

فهلا صدَّقتم، والإسلام في أنفسكم ولأنفسكم جددتم وجددتم، فشهدتم أن لا إله إلا الله في كل يوم، شهادة تنتظر التجديد والمزيد؟ وشهدتم أن محمدا رسول الله، وعلمتم أنه قديما شهد الناس أن محمدا منهم رسول الله، وحاضرا يشهد الناس أن محمدا رسول الله، وفي قابل سيشهد الناس أن محمدا رسول الله؟ إن شهادة أن محمدا رسول الله لا ينقطع قيامها، بل تتجدد مع تجدد الناس، وكانت ما كان الناس، وبقيت ما بقي الناس. هذا ما يليق بالفهم والطلب في شهادة أن محمدا رسول الله، وكلنا يقول أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله، ومعظمنا لا يشهد أن لا إله إلا الله

ولا يشهد أن محمدا رسول الله، فنريد بتواصينا بالحق أن نخرج من ظلام أنفسنا والانتقال من القول إلى الشهود، بشهود لا ينقطع مداه وعروج لا يتوقف مرتقاه.

هذا ما تأتي ببيانه اليوم السماء. وما أتتنا بخبره من قبل الأنباء. وما ستبقي تجدده بيننا السماء، ما أردنا السماء، وما نشدنا السماء، وما بقينا على الأرض سماء بعد سماء نشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله.

اللهم اقشع فينا ظلام نفوسنا بإشراق نورك بفجر قربك في يوم لقائك وإنهاء ليلك.. لا إله غيرك ولا معبود سواك. كنا بمحمد رسولك وها نحن نطلبه منك لنا في أنفسنا لأنفسنا حقا منك، ورسول رحمة، وكتاب هدى، وفجر نور نحل به، ونفنى عنا إليه.

اللهم زده بك صلة لتزداد لنا به بك الصلة.. صلة منا بك به لترتضيه، وصلة به منك بنا لنرتضيه.

اللهم إنا نشهد أننا لك خلق، وأننا بعبوديتنا لك نسعد، وأننا بخلقتك لنا لنفسك وتعبيدنا لك منك حقائق وبيقينك في حقيقتنا من حقك نشهد أنه لا إله إلا أنت، وأنك حقا الأحد، وأنك في وجودك وجودا لنا الصمد.. اللهم بذلك فحققنا، وإليه فقوِنا، وإياه فأوردنا، واجعل بذلك خير أعمالنا خواتيمها وخير أيامنا يوم لقائك.. اللهم وفقنا لما تحب وترضى وأقمنا فيما تحب وترضى والقنا على ما تحب وترضى ممن أحببت ورضيت. اللهم خفف عنا وعافنا من إقامة عدلك فينا وعاملنا برحمتك..

اللهم عافنا مما نحن له أهل وعاملنا بما أنت له أهل..

اللهم إننا بذنوبنا بين يديك نستغفرك.. اللهم أيقظنا وأصلح شأننا وولِ أمورنا خيارنا، ولا تولِ أمورنا شرارنا.. وكن لنا في الكبير والصغير من شأننا في حاضرنا وفي قابلنا وفي ماضينا برحمتك يا أرحم الراحمين..

أضواء على الطريق

من هدي القرآن:

١:

- {وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون}[٣].
- رحمتي غلبت عذابي - {وما نرسل بالآيات إلا تخويفا}[٤]
- {كل شيء هالك إلا وجهه} [٥]- {والله من ورائهم محيط}[٦]

- {إن الله بالغ أمره}[٧]

:٢

- {وإذ أخذ ربك من بني أدم من ظهورهم ذريتهم...}[٨]
- {ومن ورائهم برزخ إلى يوم يبعثون}[٩]
- {فلينظر الإنسان مم خلق}[١٠]
- {منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة أخرى}[١١]
- {يوم تشقق عنهم الأرض سراعا}[١٢]
- {خلقك من تراب ثم من نطفة ثم سواك رجلا}[١٣]
- {كما بدأنا أول خلق نعيده وعدا علينا إنا كنا فاعلين}[١٤]
- {والسماء ذات الرجع والأرض ذات الصدع}[١٥]
- {لو تعلمون علم اليقين لترون الجحيم ثم لترونها عين اليقين}[١٦]
- {وإن منكم إلا واردها كان على ربك حتما مقضيا}[١٧]

:٣

- {ولمن خاف مقام ربه جنتان}[١٨]
- {لا يرون فيها شمسا ولا زمهريرا}[١٩]
- {وجنة عرضها السماوات والأرض أعدت للمتقين}[٢٠]

مصادر التوثيق والتحقيق

١ سورة الكهف - ٢٦
٢ سورة البروج - ١٢-١٣
٣ سورة الذاريات - ٥٦
٤ سورة الإسراء - ٥٩
٥ سورة القصص - ٨٨
٦ سورة البروج - ٨٥
٧ سورة الطلاق - ٣

٨ سورة الأعراف - ١٧٢
٩ سورة المؤمنون - ١٠٠
١٠ سورة الطارق - ٥
١١ سورة طه - ٥٥
١٢ سورة ق - ٤٤
١٣ سورة الكهف - ٣٧
١٤ سورة الأنبياء - ١٠٤
١٥ سورة الطارق - ١١:١٢
١٦ سورة التكاثر - ٥:٧
١٧ سورة مريم - ٧١
١٨ سورة الرحمن - ٤٦
١٩ سورة الإنسان -١٣
٢٠ سورة آل عمران - ١٣٣